

وسنحاول استقصاء كل حركة من هذه الحركات بالقول والتحليل علي النحو التالي:

١- القرامطة:

تعد القرامطة من أكثر حركات الإسماعيلية شراسة وضلالاً؛ حيث إنها أحدثت جدالاً واسعاً في المجتمع الإسلامي، نتيجةً لأفعالها المشينة، فيكفي قيامهم بسرقة الحجر الأسود.

ويرجع أصل القرامطة إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من الأهواز ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحققتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.

والقرامطة كانوا دعاة للإسماعيلية، ثم انحرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة في السلمية (إحدى معاقل الإسماعيلية) لم تعد لأولاد محمد بن إسماعيل وإنما لأولاد عبد الله بن ميمون القداح الذي يعد رأس الأفعى للقرامطة بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سراً.

وفي سنة ٢٧٨ هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً أسماها دار الهجرة، وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم، وهرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة الإسماعيلية مبادئهم:

أ- ادعى القرامطة أنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وأسسوا دولة شيعوية تقوم على شيوع الثروات، وعدم احترام الملكية الشخصية، وجعلوا الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة.

ب- ألغوا أحكام الإسلام الأساسية، وأبطلوا القول بالمعاد والعقاب، ويعتقدون بأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

ج- ويقولون بالعصمة، وأنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.

- البعث: الإهداء إلى مذهبهم.

- النبي: شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.

- القرآن: تعبير محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - عن المعارف التي فاضت عليه، ومركب من جهته، وسي كلام الله مجازاً.

د- وجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، ويقولون بالرجعة، وأن علياً - رضي الله عنه - يعلم الغيب، ويفرضون على أتباعهم الضرائب الباهظة.

هـ - استمدوا عقائدهم وأفكارهم من الفلسفة المادية التي جاءت من تعاليم الملاحدة والمتأمرين من أئمة الفرس، وتأثروا بمبادئ الخوارج الكلامية والسياسة ومذاهب الدهرية، وتعلقوا بمذاهب الملحدين مثل مزدكوزرادشت.

تلك هي أفكار القرامطة، وقد دامت هذه الحركة قرابة قرنين من الزمان، وقد بدأها عبد الله بن ميمون القداح في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن، وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان، وقد بذلوا جهداً كبيراً في محاربة دولة الخلافة العباسية، وقتل المسلمين في أنحاء عديدة.

وفي سنة (٢٨٦ هـ) تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، واستولوا على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد.

وقد كان أبو سعيد هذا سمساراً في الطعام يبيعه، ويحسب للناس الأثمان بالقطيف، فجاء أبو سعيد وعاث في الأرض فساداً، وأخافوا أهل العراق والشام، إلى أن هلك أبو سعيد سنة ٣٠١ هـ، ثم قام بأمر القرامطة من بعده ولده الملقب بأبي طاهر الجنابي.

وكثر دعاة القرامطة وصار لهم دولة، وفي سنة (٣١٧ هـ) اشتدت شوكتهم جداً وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة والناس يوم التروية، فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر قد انتهبوا أموالهم، وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، ويقول: (أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا)، ولم يدع أحداً طائفاً أو متعلقاً بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في المسجد الحرام، ثم هدم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بقلع الحجر الأسود من مكانه وأخذه معهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة.

نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً:

في منتصف القرن الرابع الهجري دخل القرامطة النهاية لأسباب داخلية وأخرى خارجية، وما لبثوا أن زالوا عن مسرح الصراع في المشرق العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية:

الأسباب الداخلية:

من الواضح أنّ الحركة القرمطية لم تستطع إخفاء مقاصدها الحقيقية في محاربة العقيدة الإسلامية الصحيحة، لا سيما بعد الانتصارات المحلية لبعض زعمائها على السلطة العباسية، فقد أساء المتأخرون من هؤلاء الزعماء التصرف بالنسبة للمجتمع الإسلامي آنذاك، حتى أنّ العبيديين وهم على منوالهم في الاتجاه السياسي والعقائدي اضطروا إلى أن يتبرأوا منهم وأن يهاجموهم عسكرياً في أماكن تواجدهم، حيث أوعزوا إلى قائدهم العسكري (جوهر الصقلي) بأن يذيع بياناً يستنكر فيه أعمال القرامطة ويتبرأ من تصرفاتهم المغايرة للإسلام والضارة بالمسلمين، على أنّ جوهر لم يكتف بهذا البيان بل حارهم فعلاً على أرض فلسطين في الرملة (سنة ٣٦٨ هـ)، وكانت هذه المعركة بداية النهاية بالنسبة للحركة القرمطية ولأتباعها على مختلف المستويات وفي جميع البلدان التي انتشروا فيها بقوة الدعاية التبشيرية أو بقوة السلاح والإرهاب.

ويمكن القول: بأنّ حادثة العدوان التي قام بها القرامطة على مكة المكرمة بقيادة أبي طاهر الجنابي، وما رافق ذلك من قتل الحجاج، واقتلاع الحجر الأسود من مكانه، وأخذه إلى هجر، كان بمثابة القبلة الموقوتة التي انفجرت بعد حين، ودمرت الكيان القرامطي من أساسه، حتى إنّ أبا محمد عبيد الله الذي أسس الدولة العبيدية، وكان هو نفسه قرمطي العقيدة استبشع هذه الحادثة وأفرعته مضاعفاتها السلبية في

الأوساط الإسلامية؛ فأرسل كتاباً لنظرائه قرامطة البحرين ينكر فيه عليهم فعلتهم الشنيعة، ويلوم أبا طاهر المذكور، ويلعنه ويقيم عليه القيامة، بقوله:

(قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم تردّ على أهل مكة وعلى غيرهم من الحجاج ما أخذت منهم، وترد الحجر الأسود إلى مكانه، وترد كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة).

وهذه الحادثة المشؤومة كانت (سنة ٣١٧ هـ) وهنا فإننا نرى من الفائدة تسجيل وجهة نظر القرامطة في هذه الحادثة كما عبّر عنها أبو طاهر القرمطي الذي اقرّف هذه الجريمة النكراء، وذلك من خلال الشعر الذي قاله في هذه المناسبة، والرد الذي أرسله إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله.

قال أبو طاهر في تبرير اقتلاع الحجر الأسود والعدوان على البيت الحرام: (فلو كان هذا البيت لله ربّنا لأنّا حججنا حجة جاهلية، وأنا تركنا بين زمزم والصفاء ولكان ربّ العرش جلّ جلاله صب علينا النار من فوقنا صبا مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً، كتائب لا تبغي سوى ربها ربا، لم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا).

ومن العوامل الداخلية الأخرى التي أضعفت القرامطة، وأدّت إلى ذهاب ريحهم واضمحلال شوكتهم الانقسام الذي فرّق أمرهم فيما بينهم، وخاصة بعد موت أبي طاهر سليمان، مما اضطرهم إلى تعديل نظام (مجلس العقدانية) وتحويله (إلى مجلس السادة) الذي أوهن قيادتهم المركزية، والحروب التي شنها بعضهم على بعض في عهدي أبي طاهر والأعلم خارج مركز قوتهم (البحرين) ممّا كبدهم أموالاً طائلة، وأضعف مواقفهم بعد كل معركة، وأدّى إلى قيام حركات انفصالية داخل مجموعتهم لا سيما في عمان واليمن.

الأسباب الخارجية:

أما الأسباب الخارجية التي أدت إلى زوال الحركة كدولة ونظام ومجتمع، فإنّ المؤرخين يردّون ذلك إلى الظواهر السلبية التي عانوا منها في أخريات أيامهم وهي التالية:

ظهور دولة بني بويه المناوئة للقرامطة التي نجحت في جرهم إلى حروب جانبية، خلقت لهم أعداء من كلّ جانب، وخاصة من الدولة العبيدية المصرية، وقلّة الأموال التي كانت بحوزتهم، فلم يعودوا يتمكنون من الاستمرار في صرف المعتاد من العطايا على البدو ممّا أضعف موالاته هؤلاء لهم، وتحوّلوا عنهم إلى العباسيين لهذا السبب، وانقلاب قبائل إقليم البحرين نفسها عليهم، مثل: بني عقيل، وبني تغلب، ونجاح هذه القبائل بالتغلب على بعض أطراف الدولة القرمطية مثل القطيف وما جاورها.

ومن العوامل الخارجية الأخرى التي قادت القرامطة إلى نهايتهم وتلاشيهم أنّ أسيادهم وحلفاءهم ورفاقهم في الاتجاه المذهبي والمبادئ العقائدية، نعني: العبيديين حكام القاهرة، انقلبوا عليهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بتأرجحهم بين الولاء لبغداد وبين الاستسلام للقاهرة، وبخروجهم عن كلّحد، وزاد غيهم وسفكهم للدماء، وغزوا مكة، وفتكوا بالحجيج، واقتحموا البيت الحرام، ولمّا ذهبوا في جرّاتهم إلى مهاجمة الدولة الفاطمية ذاتها في الشام وانتزعوا منها دمشق وهاجموها في مصر منزلها الجديد، تنكرت لهم وأنكرت ثورتهم وتبرأت منهم.